

وقد تميزت حياة الإنسان الاقتصادية في هذه المرحلة بالجمع والالتقاط، ولذا فإن استقراره في الكهوف و حول العيون والآبار والأودية كان استقراراً مؤقتاً، فسرعان ما ينتقل إلى مكان آخر يبحث فيه عن طعام جديد. وقد نجح هذا الإنسان الأول في بداية تطوير حياته بصنعه الآلات الحجرية الأولى كالفؤوس اليدوية.

بقيت الإشارة إلى أن النعام هو الطائر الوحيد الذي تأكد وجوده أثرياً في مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل و الأوسط في المغرب، ومن المعروف أن طبقات عصور ما قبل التاريخ الأثرية في المغرب لم تكد تخلو واحده منها من بيض النعام أو قشوره.



وقد اكتشف إنسان العصر الحجري القديم الأسفل عدداً من التجارب دفعته إلى الانتقال إلى العصر الحجري القديم الأوسط والتي تظهر بوضوح في صناعة الأدوات الحجرية، وخاصة في صناعة الشظايا والتي كانت تتطلب تدريباً طويلاً، يظهر ذلك في عمليات ضرب الحجر في زوايا معينة مما ينتج عنه هذه الشظايا المتميزة بحدتها.

مرت منطقة المغرب القديم - أو الشمال الأفريقي - كغيرها من مناطق الشرق الأدنى بعصور ما قبل التاريخ في مراحلها المختلفة من العصر الحجري القديم الأسفل إلى الأوسط فالأعلى، ثم بمرحلة العصر الحجري الحديث و قد استمرت هذه المراحل من الناحية الزمنية حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد، طبقاً للمصادر الكلاسيكية و قد أرجعتها الأدلة الفينيقية الأولى إلى القرن الثامن قبل الميلاد. و ينقسم العصر الحجري القديم إلى ثلاث أزمنة :-

أولاً:- العصر الحجري القديم الأسفل.

ثانياً:- العصر الحجري القديم الأوسط.

ثالثاً:- العصر الحجري القديم الأعلى.

يرى الباحثون في حضارة العصر الحجري القديم الأسفل أن آثار موقع "عين حنش" بمنطقة سطيف في الجزائر تمثل أقدم جهد إنساني في صناعة الأدوات الحجرية في شمال أفريقيا، وذلك أثر العثور على قطع حجريه من الحجر الجيري يقترب شكلها من الشكل الكروي وتتميز بكثرة أضلاعها و زواياها، غير أن الاتجاه الحديث يذهب إلى موقع "عرباوه" في شمال سهول المغرب و "دوار الدوم" في مجاورات العاصمة المغربية "الرباط".

و السبب في ذلك أن هذه المواقع إنما تمثل جهداً صناعياً أكثر قدماً من الكرات الحجرية المنتمة إلى "عين حنش"، وبالتالي فإنها تمثل أقدم آثار صنعها الإنسان في المغرب الكبير في أقدم عصوره، هذا فضلاً عن أنه قد عثر على موقع في الجزائر ينتمي لهذه المرحلة حيث كُشف فيه عن طبقه أثرية تمثل حضارة الحصى المشذب.

وقد عُثر على عدد من المواقع الأثرية تتضمن آثار من مرحلة العصر الحجري القديم الأوسط ، في بلاد الشمال الأفريقي، من ليبيا شرقاً، وحتى المحيط الأطلسي غرباً.

ويطلق العلماء على هذه المرحلة الحضارية من عصور ما قبل التاريخ اسم الحضارة " العاترية" نسبة إلى موقع " بئر العاتر" في وادي جبانة قريباً من قسطنطينية في الجزائر، على الحدود بينها وبين تونس، وقد تم أيضاً العثور على الصناعة العاترية من قبل بعض الباحثين.

وقد وجدت العاترية بمظهرها الصميم في كثير من المواقع والطبقات الأثرية في جميع أنحاء المغرب، فوجدت في الرسومات السطحية لوادي جبانة ووادي جوف الجمل وكاف الأحمر ووادي سرديس، وفي رمال جبل عواش، وفي رواسب الرمل الأحمر على طول الساحل الجزائري في كارويه وضواحي بترت وغيرها.

ويبدو أن الإنسان في هذا العصر، قد استعمل بجانب الحجر الأخشاب والجلود والعظام وبيض النعام أو قشوره، كما بدأ يدرك حقيقة وجود قوى خفيه تتحكم في الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية والطبيعية، وأراد تجسيم هذه القوى في أماكن معينة لكي يحاول استرضاءها ضماناً لحمايته ومصيره.

وقد اختلف الباحثون حول المناخ الذي ساد الشمال الأفريقي إبان عصر الحضارة العاترية، فريق يرى أن المناخ كان رطباً حاراً، وآخر يرى أنه كان جافاً، ومن يحاول التوفيق بين الاتجاهين يذهب إلى أن المناخ إنما كان وقت ذاك يتميز بالرطوبة الشديدة، مع انخفاض قليل في درجة الحرارة.

وعلى أية حال فالرأي عند " كاتون طمسون " أن موقع الخزيه (طبقه أ) في المغرب الأقصى، إنما يمثل مرحلة العاترية في الشمال الأفريقي، ثم انتشرت جنوب الأطلسي الصحراوي في العصر العاتري الوسيط. وهناك من يذهب إلى أن الصناعة العاترية قد وصلت إلى مصر في العصر الحجري القديم الأوسط.

ولعل أهم مواقعها إنما كانت تلك التي كشف عنها "ساندفور" على مقربة من نقاده و فيما بين دندنره والمراشده، فضلاً عن تلك التي على مقربة من نجع حمادي (محافظة قنا) وأسبوط إلى جانب ما تم كشفه في ضواحي طيبة و في العرابه المدفونه (محافظة سوهاج).

و يرى الباحثين أن الصناعة العاترية تشبه صناعه "الحضارة اللفلوازيه الموستيرية الفلسطينية" في الإنتاج الصناعي و في إنماء كل منهما لفترة زمنية واحدة، وقد طبقت طريقة "كربون ١٤ المشع" على بعض البقايا المتفحمة التي عُثر عليها في المواقع في طبقات "كهف هوافتح" في منطقته وادي درنه، فأدى إلى تقدير عمر هذه البقايا بحوالي ٤٣٠٠٠ ق.م ، كما أن هناك شبهاً بين البقايا العظمية الإنسانية من هذه المرحلة و بين " الإنسان النيدرتالي الفلسطيني".

وقد أدى ذلك كله إلى وجود صلات حضارية و بشرية بين غربي آسيا و خاصة فلسطين وبين المغرب وخاصة برقة (شمال شرقي ليبيا) الأمر الذي يدل على وجود جانب شرقي، فضلاً عن العناصر المحلية في حضارة العصر الحجري القديم الأوسط في المغرب.

المراجع

- رشيد الناضوري، المغرب الكبير، الجزء الأول:العصور القديمة، الإسكندرية ١٩٦٦.
- ام الخير العقون، العلاقات الحضارية والسياسية بين مصر وشمال إفريقيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد، الإسكندرية ١٩٨٨.